مواسم الخير

وتجلى اسم الرحمن فيها

أبو جعفر عبد الله بن فهد الخليفي

alkulify m_alkulify alkulife

بسم الله الرحمن الرحيم

من رحمة الله ﷻ أنه جعل لنا الحسنة بعشر أمثالها، والسيئة لا نُجزى إلا مثلها، وهذا ليس عدلاً؛ هذا فوق العدل، هذا تفضلٌ منه ﷻ، وإلا فالعدل [أن] تكون السيئة بمثلها والحسنة بمثلها، هذا هو العدل، ولكنه فضلاً منه ﷻ ولأن رحمته سبقت عذابه جعل الحسنة بعشر أمثالها والسيئة لا نجزى إلا مثلها.

بل في واقع الأمر، حتى لو جعل الحسنة بمثل السيئة تماماً فما زال في الأمر فضل زائد على مجرد العدل؛ وذلك أنه ﷻ جعل العبادات المفترضَة لا تستغرق الحياة ولا حتى نصفها، وإنما جعلها تستغرق وقتاً يسيراً من حياة الإنسان -وأما العبادات الأخرى المستحبة فهذه كما شاء الإنسان- فالحج: أيام معلومات، وصيام رمضان: شهر واحد من أصل اثني عشر شهراً، والصلاة: خمس صلوات في اليوم والليلة فقط لا يأخذن وقتاً طويلاً نهائياً.. الإنسان لكي يحصل راتباً مجزياً لا بد أن يعمل في اليوم والليلة ساعات متواصلة أكثر من ذلك بكثير، ولكن الله ﷻ أرحم الراحمين.

ثم إنه ﷻ من رحمته العظيمة جعل لنا مواسم خير يضاعف فيها الأجر زيادةً على موضوع العشر الحسنات! ومن ذلك شهر رمضان: «من صام رمضان إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه»[١]، «من قام رمضان إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه»[٢] وهكذا، تجد تشوفاً، تجد إقبالاً من الله ﷻ على عباده بالرحمة، كما أنه كان ينزل كل ليلة -وما زال ﷻ- فيقول: «[من يدعوني فأستجيب له،] من

(١) البخاري (١٩٠١)، ومسلم (٧٦٠).
(٢) البخاري (٣٧)، ومسلم (٧٥٩).

يسألني فأعطيه»، ثم يشير إلى أهم سؤال ينبغي أن يُسأل، فيقول: «من يستغفرني فأغفر له»[١] عرضٌ كل يوم يتجدد! «إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل»[٢]، تخيل أنا آتي وأمد يدي لك -ولله المثل الأعلى- لكي تقوم من كبوتك فلا تلتفت إلي، مرة، اثنتين، ثلاثاً—سأمل! سأسخط عليك مهما كنت قريباً مني! ولكن الله ﷻ يفعل هذا كل يوم، فإذا أقبل عليه العبد كان الله أفرح بتوبة عبده من الرجل الذي ضلت راحلته إلى آخر الحديث[٣].. فسبحان الله! وهو ليس محتاجاً إليك، هو غني يتودد وأنت فقير وتُعرض! فانظر العجب! غني غناه ذاتي يتودد وفقير فقره ذاتي يُعرض! ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا﴾ [البقرة: ٢٤٥].. سبحان الله! المال مال من؟ ماله هو ﷻ، هو الملك، ليس بحاجتنا؛ نحن بحاجته، ثم هو يأتي ﷻ ويعرض علينا.

في هذا الشهر تُصفّد الشياطين، تُفتح أبواب الجنة، تُغلق أبواب النار، ويقال: «يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر»[٤] (أقصر) حتى العبارة فيها رحمة! أقصر فقط، ما قال: «يا باغي الشر ستُكبُّ على وجهك» فالآن أُغلقت أبواب النار.. فسبحان الله!

وجود مواسم للخير يتجدد فيها الإيمان ويُقبل فيها الناس هذا من حكمة التشريع ومن رحمة الله ﷻ البالغة، ودائماً نشهد كل شهر رمضان جماعة كبيرة من

---

(١) البخاري (٧٤٩٤)، ومسلم (٧٥٨).
(٢) مسلم (٢٧٥٩).
(٣) البخاري (٦٣٠٩) مختصراً، ومسلم (٢٧٤٧).
(٤) الترمذي (٦٨٢)، وابن ماجه (١٦٤٢).

المقبلين على الله ﷻ، وقسم منهم -الحمد لله- يثبتون حتى بعد هذا الشهر، فليُحسن الناسُ صحبتَهم والحرص عليهم حتى يأخذوا بأيديهم إلى بر الأمان؛ فإن كثيراً من الناس يجدون في هذا الشهر فرصةً للإقبال على الله ﷻ.

ووالله لو لم يكن في شهر رمضان إلا ما نراه من إقبال الناس وسكون أنفسهم والراحة التي يجدونها في الطاعة—لو لم يكن في هذا الأمر من الحكمة إلا هذا لكان أمراً عظيماً، والله المستعان.

ومن الناس من يذكر الحر والصيام في الحر—والله ينبغي أن يفرح الإنسان بمثل هذا؛ ﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا﴾ [التوبة: ٨١]! فالواقع أن العبادة كلما كانت أشق كان أجرها أعظم، فالله غفور شكور؛ يغفر الذنب العظيم ويشكر الحسنة القليلة.

النبي ﷺ لما جاء صحابة وقالوا له إن ديارنا بعيدة عن المسجد وإننا نريد أن نسكن بالقرب منه، فقال: «دياركمْ تُكتبْ آثاركُم»[(١)] يعني لكم أجر هذا الذي تتعبونه وتمشونه، وفي الحديث: «العبادة في الهرج كهجرة إلي»[(٢)]، وفي حديث آخر في سنن أبي داود أن الغازي في البحر له أجر شهيدين[(٣)]، لماذا له أجر شهيدين؟ لأن الغزو في البحر متعب وليس كغيره، وكما قال النبي ﷺ لعائشة: « [إن لك من الأجر] على قدر نصبك»[(٤)].

---

(١) مسلم (٦٦٥).

(٢) مسلم (٢٩٤٨).

(٣) عن أم حرام، عن النبي ﷺ أنه قال: «المائد في البحر الذي يصيبه القيء له أجرُ شهيد، والغَرِق له أجرُ شهيدَين» رواه أبو داود (٢٤٩٣).

(٤) البخاري (١٧٨٧)، ومسلم (١٢١١).

فنحن في الواقع ينبغي أن نفرح بمثل هذا، عسى أن تُكفَّر ذنوبنا في كل العام، أن نفرح بأن نري الله من أنفسنا خيراً واحتمالاً.

عبادة الصيام عبادة يتجلى فيها الإيمان؛ فقد يفطر الإنسان سراً ولا أحد يعرف، قد تشرب ماءً ولا أحد يراك.. هي عبادة بينك وبين الله ﷻ تختبر فيها إيمانك، تختبر فيها إقبالك على الله ﷻ.

النبي ﷺ حين قال: «الطَّهور شطر الإيمان» لماذا الطهور شطر الإيمان؟ لأنه قد يذهب الإنسان ويصلي ولا أحد يراه توضأ أم لم يتوضأ، صح؟ قد يقولون توضأ في البيت، أو يقولون هو متوضأ ولم ينتقض وضوؤُه، إلى آخر ذلك، فهذه الأحوال الباطنة في الطهارة لا أحد يطلع عليها إلا الله ﷻ، فالنبي ﷺ قال: «الطهور شطر الإيمان ... والصدقة برهان»[(١)]؛ الإنسان حين يعطي ماله هذا الذي هو أحب شيء للناس، يعطيه في ذات الله؛ هذا برهان على الإيمان.

أيضاً في موضوع الصيام الله ﷻ يقول: «إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به»[(٢)] لماذا خصصه الله به حين قال: «إنه لي»؟ لماذا؟ هو [أجاب] فقال: «يدع شهوته وطعامه من أجلي»[(٣)]، فالله ﷻ شكور ﷻ!

كثير من أهل العلم قال الصيام لا يُتصور فيه رياء؛ لأن الناس الذين ترائيهم يذهبون ويمكن أن تأكل إذا ذهبوا، فالصيام في واقعه لا يُتصور فيه رياء، عبادة

(١) مسلم (٢٢٣).
(٢) البخاري (٥٩٢٧)، ومسلم (١١٥١).
(٣) البخاري (٧٤٩٢)، ومسلم (١١٥١).

مُحبّأة وهي ظاهرة، سبحان الله!

أما قول النبي ﷺ: «من قام مع الإمام حتى ينصرف كُتب له قيام ليلة»[١] انظر إلى الفضل وكيف أن الله ﷻ يضاعف لك، فقد تقوم ثلث الليل فقط فيكتب لك قيام ليلة! الصلوات هي خمسون في الأجر وهي في حقيقتها خمسة!

وتأمل قول النبي ﷺ: «رغم أنف امرئٍ أدرك رمضان فلم يُغفر له»[٢]، لماذا رغم أنفه؟ أنت تتعرض لكل هذه الرحمة والمغفرة ثم لا تصيبك؟! رغم أنفك! أنت هالك! كل هذه الرحمة غمرتك ثم ذُهلت عنها حتى لم تُصبك! فهذا دليل أنك شقي وأن شقاءك من يدك.

الإنسان المتأمل في عظم الرحمة في الشريعة أبداً لا يخاصم الله ﷻ في ذلك؛ بل يشاهد نعمة الله ﷻ عليه ويشاهد تقصيره.

بارك الله لي ولكم في هذا الشهر الفضيل، ونسأل الله ﷻ أن يتقبل الصيام والقيام، وأن يعيده علينا بالمن والخيرات وبزوال مصاب المسلمين في كل مكان، والله المستعان.

(١) أبو داود (١٣٧٥)، والترمذي (٨٠٦)، والنسائي (١٦٠٥)، وابن ماجه (١٣٢٧).

(٢) الترمذي (٣٥٤٥)، وأحمد (٧٤٥١).